مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد42 العدد (1) – 2026: 278-298

Damascus University Journal for engineering sciences
Vo 42 number (1) -2026: 278-298

الواقعية الاجتماعية في أعمال كلير لايتون

هبة هاني عبد الرحمن[*1] عبد اللطيف سلمان[2]

[*1] طالبة ماجستير في قسم الغرافيك، كلية الفنون الجميلة، جامعة دمشق.

hibaabdalrahamn21@damascusuniversity.edu.sy

[2] أستاذ، دكتور، في قسم الغرافيك، كلية الفنون الجميلة، جامعة دمشق.

AbdullatifSulma@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

أطاحت التحولات العميقة التي شهدها الفن بالكثير من المعتقدات الكلاسيكية عند الفنانين، فنتج عنها تكريس الفنون المعاصرة تقانياً وتشكيلياً لخدمة مصالح المجتمع.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الواقعية الاجتماعية في أعمال الفنانة الإنجليزية كلير لايتون، والكشف عن القيم الاجتماعية لهذه الأعمال وأبعادها وانعكاسها على عناصر التكوين ضمن أعمالها الفنية.

لقد كانت أعمال الحفر والطباعة الخشبية لكلير لايتون ظاهرة فنّية ذات قيمة تعبيرية اجتماعية ونفسيّة وجماليّة تعكس صدى الواقع المعيشي في فترة من السلام المضطرب ما بين الحربين العالميتين العُظميين، حيث كرست أعمالها لتصوير قضايا الإنسان ونزاعاته وآلامه، من هنا كان الإنسان هو المحور الرئيس الذي تستهدفه بفنّها.

الكلمات المفتاحية: الواقعية الاجتماعية_ الفن المطبوع _ كلير لايتون.

تاريخ الإيداع: 2023/5/30
تاريخ القبول: 2023/11/28

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب **CC BY-NC-SA**

ISSN (online): 2789-6854
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/index.php/index/index

Social realism in the works of Clare Leighton

Hiba Hani Abd Alrahman[*1] Abdullatif Sulman[2]

[*1.] Master Student in the Department of Printmaking, Faculty of Fine Arts, Damascus University. hibaabdalrahamn21@damascusuniversity.edu.sy

[2.] Prof. in the Department of Printmaking, Faculty of Fine Arts, Damascus University. AbdullatifSulma@damascusuniversity.edu.sy

Received: /6/2023
Accepted: /8/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a

CC BY- NC-SA

Abstract:

The profound transformations that art witnessed overthrew many of the artists' classical beliefs, resulting in the dedication of contemporary arts, both technically and plastically, to serve the interests of society.

The research aims here to study social realism in the works of the English artist Claire Leighton, and to reveal the social values of these works, their dimensions, and their reflection on the elements of formation within her artwork.

Her wood carvings were an artistic phenomenon of social, psychological and aesthetic expressive value that reflects the echo of the reality of living in a period of turbulent peace between the two great world wars, as she dedicated his works to portraying human issues, conflicts and pains, hence the human being is the main focus that she targets with her art.

Keywords: Social realism _Printmaking_ Clare Leighton.

المقدمة:

تتوخى الدراسة تسليط الضوء على أعمال كلير لايتون؛ بغية رصد منجزاتها الفنيّة وتحليلها، بوصفها تجربةً تعكس هموم الواقع اليومي المعيش، وتصوّر نزاعاته التي فرضت على الفنان عدم إغفالها.

إنها لغة إيحائية تصوغ التجارب الشعورية واللاشعورية في قالب إبداعيّ بنياته القيم الثقافية، وهذا كله بغية نمو المجتمعات وتطورها.

الدراسات المرجعية:

1. Rice. K, (1997). Notations of the Heart: The Wood Engraving Illustrations of Clare Leighton, 1929-1954. phd. Philosophy. University of Texas at Austin. UMI Company, United States of America.

2. Parry. R, (2023). The Art of the Reprint: Nineteenth-Century Novels in Twentieth-Century Editions. Cambridge University Press, United Kingdom.

تعدُّ الدراسة المرجعية المعنونة (ملاحظات القلب: الرسوم التوضيحية للحفر على الخشب لكلير لايتون 1929–1954) مراجعة أدبية شاملة، تستكشف أعمال كلير لايتون بوصفها فنانة وكاتبة ورسامة بريطانية أمريكية، فتتجلى المقاربة مفصّلة لحياة لايتون وإنتاجها الفني بغية إظهار موضوعاتها عن الحياة الريفية والعالم الطبيعي، ولتسليط الضور على دورها في إحياء الحفر على الخشب ببدايات القرن العشرين، وتأثيرها على غيرها من فنانين. واعتمدت كاثلين رايس (Kathleen Rice)[1] في دراستها الأكاديمية على مجموعة واسعة من المراجع والمصادر للايتون بما في ذلك كتاباتها ومراسلاتها لتضيف عمقاً وثراءً لتحليلها الذي استخدمت فيه التحليل البصري في بناء مبحثها، فتقدّم بذلك فهماً عميقاً لأعمالها، ورؤية جديدة لتقدّم تقانة الحفر على الخشب كشكل من أشكال التعبير الفني، وتؤكّد أهميته عبر طرح المشهد الاجتماعي والثقافي فنّياً ببدايات القرن العشرين والتعليق عليه.

يعدُّ فن الحفر والطباعة تاريخاً حيوياً وجذاباً لروايات القرن التاسع عشر؛ حيث أعيد طباعتها للقراء من قبل رسامي القرن العشرين، ففي وقتٍ لم تكن كلير لايتون الموضوع الرئيسي لكتاب روزاليند باري(Rosalind Parry)[2] "فن الحفر والطباعة: روايات القرن التاسع عشر في طبعات القرن العشرين"، غير أنَّ عملها يُشار إليه في جميع أنحاء الكتاب، على نحو خاص يناقش باري أهمية الرسوم التوضيحية في إعادة طباعة روايات القرن التاسع عشر، حيثُ يستشهد بالرسوم التوضيحية المحفورة على الخشب لكلير لايتون التي أعدّتها لطبعة عام (1929م) من رواية (توماس هارديز[3] (Thomas Hardy) عودة المواطن (The Return of the Native) (187م) كمثال على التأثير الذي يمكن أن تحدثه العناصر المرئية على استقبال النص وتفسيره. إضافة إلى ذلك، يناقش باري أهمية تصميم الكتاب وتخطيطه في إعادة طبع هذه الروايات، ويشار في هذا السياق إلى عمل لايتون بوصفها فنانة ونقّاشة، وقد أُشيدَ برسومها التوضيحية بسبب صورها المفعمة بالحيوية، والعميقة التّأثير، لكونها نجحت بالتقاط أكثر اللحظات حساسيةٍ لتجسد العمق النفسي والوجداني للشخصيات الروائية.

مشكلة البحث:

[1] كاثلين رايس (Kathleen Rice): مؤرخة فنية وكاتبة متخصصة في تاريخ الطباعة وفن الجرافيك.

[2] روزاليند باري Rosalind Parry: كاتبة ومعلمة وباحثة مستقلة. كانت طالبة دراسات عليا ثم محاضرة في جامعة برينستون، ودرّست أيضاً في كلية كوينز وكلية لاندر للنساء.

3 توماس هارديز Thomas Hardy (1840-1928): روائي وشاعر إنجليزي، كان متأثراً بالرومنسية ويعتبر أحد أعظم الكتّاب في الأدب الإنجليزي.

ISSN (online): 2789-6854
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/index.php/index/index

بمصداقية دون زخرفة؛ بمعنى أنَّ فنّها كان تمثيلاً لصراعات المجتمع القائمة بجميع أشكالها، بغية إعادة تنظيمه اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً، حيث تعتمد منهجية البحث على الرؤية التحليلية لفن كلير لايتون؛ وذلك عن طريق رصد عينة من أعمالها، وتقصيها ومقاربتها فنّياً من خلال المنهج التحليلي الوصفي.

كما أنه تتراوح الفترة الزمنية التي سيقوم البحث بدراستها بين أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين؛ أي منذ ولادة كلير لايتون عام (1898) م حتى وفاتها عام (1989)م. ويتركز الحديث في هذا السياق عن المنطقة الجغرافية التي نشأت وترعرت فيها الفنانة كلير لايتون، حيث تجلَّت عنها أعمالها الفنية ألا وهي المملكة المتحدة وأمريكا، وذلك ضمن محاور للبحث كما يلي:

1. دراسة مصطلحات الواقعية الفنية ومفاهيمها.
2. الواقعية الاجتماعية في أعمال كلير لايتون.
3. تجربة كلير لايتون المطبوعة.
4. نتائج البحث.

مصطلح الواقعية الاجتماعية (Social Realism):

"الواقعية الاجتماعية، اتجاه في الفن الأمريكي نشأ في حوالي عام (1930م) ويشير بمعناه الضيق إلى اللوحات التي تعالج موضوعات الاحتجاج الاجتماعي بطريقة طبيعية أو شبه تعبيرية. بمعنى أوسع، يُؤخذ المصطلح أحياناً ليشمل التصورات الأكثر عمومية للحياة الأمريكية التي يتم تصنيفها عادةً على أنها لوحة للمشهد الأمريكي والتوجه الإقليمي، والتي قد تُظهر أو لا تُظهر تعليقاً نقدياً اجتماعياً". (Blumberg, 2019)

الواقعية حركة فنية ظهرت كردٍ على الرومانسية في أواخر القرن التاسع عشر، فكانت وسيلة لمواجهة العالم عن طريق الفن، ومعالجة قضاياه الاجتماعية، وعلى نحوٍ خاص قضايا الطبقة الكادحة الفقيرة، ونقل واقعها كما هو بآلامه ومسراته، من دون المساس بخصائصه الأسلوبية والشكلية. فالواقعية

تظهر مشكلة البحث التي شكلت دافعا أساسياً لمقاربة أعمال الفنانة كلير لايتون بغية الإجابة عن عينة من الأسئلة ألا وهي:

هل كانت تجربة الفنانة لايتون صدى للواقع الاجتماعي المُعاش بغية تسليط الضوء على طبقة الفقراء والعمال الكادحين أم لا؟

1. كيف ساهمت الواقعية في إغناء أسلوب كلير لايتون، وما مدى ارتباطها بالمجتمع وتصويرها للواقع؟
2. كيف تجلَّت الواقعية في أعمال كلير لايتون المطبوعة، وهل كان استخدام الوسيط التقاني الغرافيكي وسيطاً خلاقاً للاتصال بالجماهير ومساعداً على انعكاس واقعها دون زخرفة أو تنميق؟
3. ما الدوافع التي حفّزت كلير لايتون للنأي بذاتيتها وانطباعاتها الشخصيَّة لتتجه من ثمَّ إلى نقل واقع الطبقة العاملة المتوسطة والريفيَّة الفقيرة؟
4. كيف أغنت الطباعة الخشبية بتأثيراتها المتنوعة والفريدة أعمال كلير لايتون، وما الخصائص الفنّيّة التشكيليّة المهمة للحفر على الخشب التي دفعت كلير لاستعمالها بصرف النظر عن أيّة تقانة فنيّة أخرى؟

أهداف البحث وتساؤلاته:

يهدف البحث إلى دراسة الواقعية الاجتماعيَّة وتجلياتها في رسوم كلير لايتون من خلال أعمالها المطبوعة.

1. هل استطاعت كلير لايتون من خلال تجربتها الفنية تسليط الضوء على القضايا الاجتماعية المختلفة بأسلوب غرافيكي بغية معالجة الواقع المجتمعي وتطويره؟
2. هل وجدت كلير لايتون في تقانة الحفر على الخشب الوسيلة الأمثل لإسقاط الواقع بتغييراته التي أحدثتها الثورات الصناعيَّة والتجاريَّة؟

مواد وطرق البحث:

الكشف عن خصائص الواقعية الاجتماعية الفنّية لدى كلير لايتون ضمن أعمالها، ودورها الكبير في نقل الواقع وتصويره

وجودية قائمة، فدأب الفنان على تسليط الضوء عليها "بدأت الواقعية أساساً في الفلسفة وكان المقصود بها هو دراسة أي موضوع كشيء قائم بذاته بصرف النظر عن مظهره أو علاقته بالتجربة الإنسانية الشاملة، وبمعنى آخر فإن أي شيء في العالم هو "واقع" في ذاته وليس لمجرد أن الإنسان يشعر بوجوده" (راغب، 1984، 35).

اعتنت الواقعية بحياة الإنسان اليومية وبمشاكله كلها؛ من خلال إظهار الحياة وتعزيزها بشكلٍ فني حقيقي، مختلف عن المدارس الأخرى جميعها، لكونها تقوم على الخيال متناسيةً واقع الفرد وحياته، فكانت تمثيلاً للشعب بغية رصد معاناته اليومية، حيث اعتبرها الفنان الواقعي المادة الأهم للدراسة منه لتصوير هذا الواقع بعيداً عن الزخرفة والخيال اللذين تبنتهما الرومانسية، وذلك في محاولة لمعالجة القضايا الاجتماعية وتصوير العالم الحقيقي يقول الأديب الروسي تولستوي" أوضح أن الفن ينبغي أن يوجه الناس أخلاقياً وأن يعمل علي تحسين أوضاعهم، ولا بد أن يكون الفن بسيطاً يخاطب عامة الناس" (الشيمي، 2009).

سمات وخصائص الفن الواقعي الاجتماعي:

تتميّز الواقعية الاجتماعية بجملة من الخصائص، من أهمها ما يلي:

يصوّر هذا الفن المشهد انطلاقاً من الواقع الطبيعي والاجتماعي للإنسان بموضوعية دون أي تحريف، أو مبالغة وزخرفة للواقع، يعالج قضايا الفساد والظلم الاجتماعي والسياسي المنتشر كانعكاس صادق للحياة اليومية، بهدف إيجاد حلول لها، يرى فيكتور هوجو (1802–1885م)[6]. "أن الفن عندما يكون في خدمة الأخلاق فلا شكّ أنه يكون أكثر جمالاً"، (الشيمي، 2009).

تـرتبط فـي جوهرها العـام بـالواقع والوجـود المـادي للإنسـان، وموضوعية المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، والاستلهام من هذا الواقع بكل ظواهره وحمولاته الفكرية والثقافية والسياسية، وبكل تناقضاته وتفاعلاته الديالكتيكية (الجدلية).

وفي السياق ذاته يمكن القول: تختلف الرؤية للواقع من فلسفة لأخرى، ومن زمن لآخر، ويتباين هذا الواقع ضمن جملة الصيرورات الاجتماعية والتاريخية، وبالرغم من اختلاف فلسفته كان الفن الواقعي مهتماً بإيجاد حلول للمشاكل المتعلقة بالمصائر البشرية بشكل موضوعي مستمد من الحياة بحد ذاتها، على اعتبارها الشيء الحقيقي في الوجود" إنني لا أستطيع أن أرسم ملاكاً؛ لأني لم يسبق لي أن شاهدته" يقول الفنان الفرنسي جوستاف كوربيه Gustave courbet (1819-1877م)[4] (مطر، 2013).

إلى جانب ذلك يُعدُّ المذهب الواقعي دعايةً للمذهب الاشتراكي، لأنه يركز على إبراز جوانب الشقاء في حياة الأفراد وتعاستها على نحو أكبر، دون اهتمام كبير بالإضاءة والألوان، بل بإظهار العنصر الفني في حد ذاته (راوية عباس، 2005).

مفهوم الفن الواقعي الاجتماعي:

مفهوم الفن الاجتماعي الذي طرحه الفنان الألماني جوزيف بويز Joseph Beuys[5] في ستينيات القرن الماضي، حيث تترسخ أعماله الشاملة في مفاهيم الفلسفة الإنسانية، والفلسفة الاجتماعية، وعلم طبائع البشر، ولم يتوقف للحظة عن نقد الخلل الذي أحدثته التغيرات المعاصرة في مظاهر الحياة، واعتبر الهدف من الفن هو تحرير الإنسان، فكان المفهوم الأوسع للواقعية هي دراسة الحالة الاجتماعية بصرف النظر عن الانطباع الشخصي للفنان في هذه الحالة، وإنما كحالة

6 فيكتور هوجو Victor Hugo: كاتب وسياسي رومانسي فرنسي يعتبر أحد أعظم الكتّاب في اللغة الفرنسية، كان مؤيداً للحكومة الجمهورية ومدافعاً عن العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان، وسعى في كتاباته إلى الدعوة للتغيير الاجتماعي والسياسي.

[4] جوستاف كوربيه Gustave courbet (1819-1877م): رسام فرنسي تزعَّم الحركة الواقعية في الرسم الفرنسي في القرن التاسع عشر.

[5] جوزيف بويز Joseph Beuys (1921–1986): فنان ونحّات ألماني أحد أهم الفنانين وأكثرهم تأثيراً في القرن العشرين.

Robert Leighton وماري كونر Marie Conner كاتبين فشجَّعا موهبتها الواضحة منذ صغرها في الرسم.

الشكل (1) كلير لايتون، 1932، صورة فوتوغرافية، أثناء إعداد عمل فني وحفر قطعة الخشب، بقلم كلير لايتون (1932)م

في سن المراهقة انتقلت عائلتها إلى كيمير kemer في ساسكس Sussex حيث بدأت دراستها الرسمية في كلية برايتون للفنون عام (1915م). ولاحقاً تلقت دروساً في الرسم عند السير هنري تونكس Sir Henry Tonks في مدرسة سليد للفنون الجميلة، في لندن (1922–1923م).

وجدت لايتون شغفها في الحفر على الخشب بعد أن حضرت دورة نويل روك *Noel Rooke للحفر على الخشب في المدرسة المركزية للفنون والحرف وذلك بعد فترة وجيزة من تسجيلها في سليد.

* نويل روك (1881-1953م): حفّار الخشب والفنان البريطاني. ساهمت أفكاره وتدريسه مساهمة كبيرة في إحياء حفر الخشب البريطاني في القرن العشرين.

يقوم جوهر الفن الواقعي الاجتماعي على محاكاة الواقع والاستلهام منه كمادة للإبداع، عن طريق صهر العلاقات الإنسانية والتجارب الوجودية، ونقل الأوضاع المعيشية التي يعاني منها الإنسان العادي، والطبقة الكادحة في المجتمع، وتصوير عنائهم في الحياة، والصراع اليومي لهم محفزاً العقل والإرادة الشخصية عند الشعب، والدفع به ليكون جزءاً من الحل "يرى كل من كارل ماركس وفريدريك أنجلز أن هدف العمل الفني ينبغي أن ينبثق عن العمل الفني نفسه وأن تصوير المجتمع القائم على الاستغلال والظلم والكذب تصويراً وثيقاً لا بد أن يؤدي للقضاء عليه"، (الشيمي، 2009).

فالواقعية إثراء لتجارب الواقع والبلد الذي ينتمي له الفنان بطريقة يظهر بها الاندماج العاطفي بالطبيعة والإنسان بكل ما تحمله هذه الطبيعة من قسوة، لكونها لا تأتي بالرحمة على نحو دائم، كذلك اهتم الفنان الواقعي أيضاً بدراسة طبيعة البشر، والجوانب السلبية في حياتهم كالجريمة والظلم والصراعات المختلفة، فبحثوا في الأسباب التي تربط الإنسان بمجتمعه، وتبعيَّة هذا الإنسان للوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه.

كذلك اهتموا بالتناقضات الاجتماعية التي تكمن في الصراع الطبقي داخل المجتمع، لنشر الوعي الممكن بأسباب هذه الصراعات، وهذا بدوره مشروطاً بمحاولة هذه الطبقة تغيير واقعها المعيشي، "يقول جان بول سارتر (1905– 1980م). في كتابه– ما هو الأدب– لا وجود للفن إلا بالآخرين ولأجل الآخرين"، (الشيمي، 2009).

نبذة عن مسيرة الفنانة كلير لايتون:

الاسم الكامل كلير ماري فيرونيكا لايتون Clare Marie Veronica Leighton الفنانة والكاتبة، الرسامة ونقاشة الخشب الإنجليزية الأصل والأمريكية الجنسية، ولدت في (12) أبريل من عام (1898م). في لندن، وهي في الترتيب تكون الثانية من بين ثلاثة أطفال، وكان والداها روبرت لايتون

"Four Hedges أربع تحوطات (1935)" وهو سرد شخصي لمدة عام في حديقة منزلها في تلال تشيلتيرن الطباشيرية؛ و "مسائل البلد Country Matters (1937م) " وهو احتفال بالحياة الريفية الإنجليزية عشية الحرب العالمية الثانية، ومجموعة من المقالات حول الحياة في قرية باكينجهامشير حيث عاشت، كل من هذه الكتب غني بالرسوم التوضيحية بما يقارب السبعين عملاً محفوراً على الخشب.

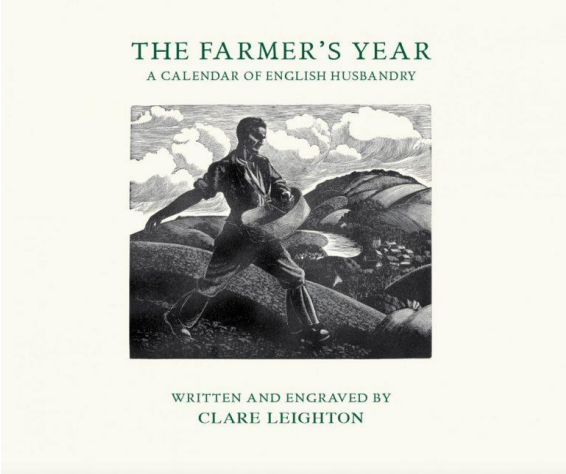

الشكل (2) عام المزارع (The Farmers Year) لكلير لايتون، كتاب ورقي الغلاف، 1933، الناشر: (Little Toller) ليتل تولر

المصدر :onlineshop.oxfam.org.uk

ساهمت هذه المرحلة في تغذية أعمالها الفنية وفي تشكيل أهم أيام حياتها، فقد تحولت إبداعاتها إلى الأرض، وأصبحت البستنة (أعمال البستان) شغفها وهاجسها، وكان الريف بخصوصيته المعروفة وأشخاصه والتغيرات الموسمية فيه الموضوع الذي شغل أهم أعمال لايتون.

ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية وفي عام (1939م). سافرت لايتون إلى الولايات المتحدة حيث استقرّت أولاً في ولاية تشابل هيل جنوب كارولينا، حيث تولت منصباً تدريسياً في جامعة ديوك Duke قبل أن تنتقل إلى وودبري Woodbury، كونيتيكت Connecticut في عام (1951م).

لقد أبانت لايتون بوضوح أسباب اختيارها لتقانة الحفر على الخشب كوسيط أساسي لها، مصرة على فضيلتين بارزتين: إمكانيَّة إتاحته لجمهور عريض، الدقَّة والمهارة التي تتطلبها من الفنان (أشبروك، 1989، 4).

اتَّصفت لايتون بإنسانيتها المفرطة، ففي شبابها حصلت على وظيفة تعليم للأطفال في إحدى الأحياء الفقيرة في لندن، فكانت المعلم الملهم حيث صبّت جلَّ اهتمامها على هؤلاء الأطفال؛ فأخذتهم إلى المعرض الوطني، وشجعتهم على تذوق الجمال في كل عنصر من عناصر الطبيعة والبيئة المحيطة بهم، حتّى في أشكال المداخن من حولهم.

وبعد انتهاء دراستها سافرت لايتون إلى فرنسا، إيطاليا والبلقان، حيث وجدت المحتوى الذي غالباً ما تركز عليه في لوحاتها، فرسمت المناظر الطبيعية والعمال والفلاحين، لقد شعرت بانجذاب نحو العامل الريفي، وأشارت في أحد كتبها اللاحقة إلى أن: "الشخصية الأكثر حقيقية بين الناس موجودة في عمالها، لأن الإنسان هنا يواجه الأبدية، وهنا يظهر قيمه وقيمته" وهذا يفسر تناولها لمواضيع العمال وصعوبات الحياة التي يقاسونها، (جرونز، لابكا، 2011م).

انتقلت لايتون إلى منزل الصحفي اليساري هنري نويل برايلفورد Henry Noel Brailford، في مونكس ريسبورو Monks Risborough، باكينجهامشير Buckinghamshire وهنا قامت بتوضيح وكتابة كتبها الثلاثة الرئيسية: "عام المزارع The Farmer's Year (1933) "، وكان هذا الكتاب قد كتبته لايتون، وصممته ورسمته، ولا يزال أكثر أعمالها شهرةً، وقد دخلت حياتها المهنيَّة به مرحلةً ومنعطفاً جديداً، وهو سرد أحداث على مدار اثني عشر شهراً من الحياة على الأرض، وهو عبارة عن مجموعة من المقالات التي تم تنظيمها حول موضوع التقويم. يتم وصف كل شهر من خلال الأنشطة الموسمية في المزرعة ويتم توضيحه بعمل محفور على الخشب وذلك على صفحةٍ كاملةٍ وحرف أولي مؤرخ. لاقى الكتاب استحساناً وتبعه كتابين آخرين:

على أهمية البساطة والحرفية والإبداع الفردي، فأعمالها تعبر عن موقف شخصي عميق الجذور تجاه انهدام قيم اجتماعية مؤثرة عديدة، نتيجة جملة التحولات السريعة والمشوهة التي أصابت الريف تحت ضغوط الحداثة في أغلب الأوقات.

مشاركتها في هذه الجولات والمناقشات أدت إلى وصفها بأنها "واحدة من أكثر شخصيات المنصات الديناميكية في أمريكا"، (لايتون، 2008).

بالإضافة إلى أنها اعتبرت واحدة من أهم نقاشين الخشب، ليس فقط في بريطانيا وأيضاً في أميركا، حيث تم انتخابها لتصبح عضواً في الأكاديمية الوطنيَّة للتصميم في مدينة نيويورك، ومنح هذا الشرف معرضاً استعادياً في مكتبة بوسطن العامَّة.

إنَّ أعمال لايتون الفنيَّة تستحضر بعمق الحنين إلى الماضي المتخيل؛ ذلك أنها جسدت العمل فيها كرمز من رموز الهوية الوطنية الإنجليزية.

"إن نمو الأشياء وحرث الأرض هو واحد من أكثر الأشياء الدولية ... غير السياسية التي يمكننا القيام بها"، (لايتون، 2009، 71).

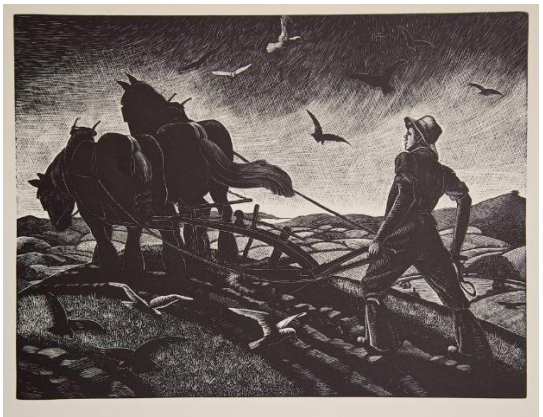

الشكل (4) كلير لايتون، الحرث: نوفمبر من 'The Farmer's Year' 1932 ، حفر خشبي مطبوع على الورق، (35.5 × 28سم)

المصدر: www.dominicwinter.co.uk

تقانة الحفر على الخشب وخصائصها في التأثير التشكيلي الفني:

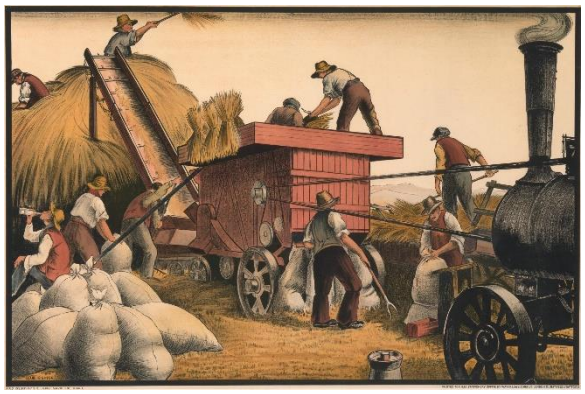

الشكل (3) كلير لايتون "حصاد Harvest " (بين عامي 1926 و1933)، مطبوعة حجرية في مركز ييل للفن البريطاني (Yale Center for British Art)

المصدر: commons.m.wikimedia.org

وأصبح إعداد الرسوم التوضيحية للكتب مهمتها الدائمة، "وضعت الرسوم التوضيحية لكتابها معايير جديدة للأدب المنشور تجارياً، كذلك كانت كتاباتها عن الطبيعة والزراعة والمواسم ورسومها التوضيحية عنها مفيدة في إحياء الاهتمام بالكتب عن الحياة الريفية" (هيكمان، 2008)، وكان من بينها وضع الرسوم التوضيحية لكتاب من إعداد هنري ديفيد ثورو (1961)م. Henry David Thoreau، ولكن خلال السنوات الأخيرة من حياتها تحولت من الحفر على الخشب إلى الزجاج المعشق، وابتكرت تصميمات للنوافذ الجانبية لكاتدرائية القديس بولس St. Paul's Cathedral، ووستر Worcester (1962)م، بالإضافة إلى تأليفها سبعة كتب فنّية.

توفر هذه الكتب فرصة غير مألوفة لدراسة الموضوعات الريفية من وجهة نظر فنانة وكاتبة جذبت تجربتها الفكرية المتطورة إلى العمق في التقاليد العظيمة للأدب والفن الرعوي الإنجليزي، مع وضعها في طليعة الخطاب الراديكالي حول الشؤون الوطنية والدولية المعاصرة"، (هيكمان، 2011، 2).

كذلك شاركت في العديد من النقاشات المعاصرة، والجولات الاحتفالية التي دارت حول مكانة الريف في الثقافة الإنجليزية، وتأثير الحياة العصرية على المناظر الطبيعية التي وإن كانت ذات منفعة مؤقتة لكنها ذات تأثير لاحق مدوي، وبدورها أكدت

كانت ذات قيمة كبيرة. لقد كانت وسيلة لنشر الأفكار التي يعبر عنها الفن، وخلق تقدير شعبي ومعرفة بالفن، وجعل التصميم الجميل في متناول مجموعة أكبر من عامة الشعب.

إن تواضع الحرفة وتواضع حفار الخشب لا يمنعان من التعبير القوي من جانب الفنان بل يساهمان في إبرازه. يتضمن العمل على قطعة خشبية شكلاً من أشكال الطمس، حيث يسمح الحفَّار "للوسيط بإملاء تقنيته"، كما يقول فورست (Martin، 2020)

الأسباب التي دفعت كلير لايتون إلى استعمال تقانة الطباعة الخشبية:

هناك عدة أسباب دفعت لايتون لاستعمال تقانة الطباعة الخشبية، لقد سمح لها حفر الخشب بإدخال الضوء إلى الكتلة الخشبية، وهو عمل روحي رأت أنه "نوع من سفر التكوين*" (Kurkoski, 2014)

وقد يكون من أهم الأسباب الأخرى لاستعمالها هذه التقانة هو معلمها نويل روك الذي ولّد شغفها بفن الحفر على الخشب إضافة لذلك، الشعور بأن جهودها يمكن أن تكافأ على الفور في الصورة المطبوعة _كما وصفته_ وعن كونها "مُذهلة بشعور خلق الضوء. لقد تمكنتُ من تقليد اليوم الأول من الخلق. كان كل سطر وكل بقعة تصنعها الأداة تتم طباعتها باللون الأبيض."(Martin, 2020) ودوافع أخرى عديدة كانت قد دفعتها لاختيار هذه التقانة منها:

1. اعتبارها أبسط أشكال الطباعة:
2. فهي تتطلب أدوات أساسية ومواد غير مكلفة إلى حد ما وقابلة للطباعة في أي مكان: "مبدأ الحفر الخشبي الحديث هو مبدأ رسم الطباشير البيضاء على السبورة" كل قطع مصنوع على كتلة خشبية يطبع باللون الأبيض، بحيث يتحرك المرء دائماً من الأسود نحو الضوء. المواد المطلوبة بسيطة وغير مكلفة إلى حد ما." لا تحتاج حتى إلى مطبعة لأن ملعقة قديمة من المطبخ ستحل محل أداة التلميع"، تلخص لايتون الأسباب الاقتصادية للاستعمال الحديث لحفر الخشب، فهي تستشهد

* سفر التكوين: فى اليهوديه و المسيحيه ، هو اول اسفار كتاب العهد القديم ، و اول اجزاء التوراه الخمسه. كتبه موسى ويتضمن خلق العالم، وهو بداية لفهم كل شيء أي تاريخ أو أي أحداث أو أي نبؤات يجب ان نبدأ من التكوين بداية العالم، بداية التاريخ البشري.

عملية الطباعة الخشبية في الفن هي عملية تستعمل في إنشاء صور وتصاميم مطبوعة على الورق أو الأقمشة أو الأسطح الأخرى باستعمال الخشب كقالب، فهي واحدة من أقدم الطرق لعمل المطبوعات من الأسطح البارزة وقد تمَّ استعمالها في الصين لتزيين المنسوجات منذ القرن الخامس الميلادي، يعد الحفر على الخشب أبسط أشكال الطباعة وأكثرها جمالاً وفرادةً في آن، حيث تتميز الطباعة الخشبية بعدة خصائص تجعلها تقنية تشكيليّة فنيّة فريدة من نوعها، وهذه الخصائص هي:

1. تأثير الحفر: يتم إنشاء تأثير الحفر على الخشب من خلال حفر الرسم المطلوب على السطح الخشبي. هذا التأثير الذي ينتج عن خطوط الحفر يضيف لمسة فنيّة وعمقاً للعمل الفني ويعزز البعد الثلاثي والتفاصيل الدقيقة فيه.

2.تأثير ألياف الخشب الطبيعية: يمكن استعمال الألياف الطبيعية الموجودة في الخشب نفسه لإضفاء جمالية وتفرد على الطبعة النهائيّة. هذه الخطوط الطبيعية يمكن أن تتداخل مع التصميم المرسوم وتثري الرسم بتفاصيل إضافية وتأثيرات طبيعية للعمل الفني النهائي.

بالإضافة للإيقاع اللوني الذي تحققه الأنماط المتعددة في فن الحفر على الخشب، حيث يتم إعطاء التأثيرات من خلال تنويع أشكال خطوط الحفر وعمقها سواء من النقاط أم الخطوط المخففة على الأرضية السوداء.

3. الألوان والتظليل: يمكن تطبيق الألوان المختلفة على المحفورات المطبوعة لإضفاء أبعاد وتظليلات مختلفة حيث تتطلب الطباعة بألوان متعددة المزيد من الكتل الخشبية لكل لون مضاف، وطريقة طباعة دقيقة بحيث يتطابق الرسم تماماً من كتلة خشبية إلى أخرى. كما يمكن استخدام تقنيات مختلفة مثل التلوين اليدوي المائي على المطبوعة لإضفاء لون معيّنٍ وتأثيرات مختلفة على الطبعة.

4. الطبعات المتكررة: يمكن استعمال اللوح الخشبي نفسه لإنشاء طبعات متكررة من التصميم نفسه. حيث يستطيع الفنان إعادة استعمال اللوح الخشبي وتكرار العملية عدة مرات، لإنشاء سلسلة من الطبعات المتكررة، مما يعطي قيمة إضافية للعمل الفني. لقد كانت الصور الأولى التي حصل عليها عامة الناس، حيث كانت الطباعة على القوالب الخشبية وسيلة غير مكلفة نسبياً لإعادة إنتاج الصور والنصوص، ولا شك أنها

الحديثة ثوانٍ فقط. ويتم تقديمه للقراء العاديين بتكلفة معقولة "يظهر منذ البداية في دعوته الحقيقية كفن ديمقراطي في خدمة الشعب... كان الحفر على الخشب في آنٍ واحد نتاج الرغبة في التغيير والجهد المبذول لتحقيقه" (Woodberry, 2020) .

5. العمل اليدوي والتفاعل الشخصي: كانت لايتون تستمتع بعملية الحفر والطباعة الخشبية يدوياً. كانت هذه التقنية تسمح لها بالتفاعل الشخصي مع العمل الفني وإضافة لمسة فريدة من شخصيتها ومهارتها الفنية، كتبت لايتون أن الفن الريفي ليس هروباً بل انخراطاً مع العالم؛ وأن أفضل الفنانين هم أولئك الذين يختلطون مع "الزملاء العاديين" – عمال الحياة اليومية؛ " ليس الشخص الذي يهرب من ملء الحياة. . . من يكتب أو يرسم أفضل. هو الذي يعيش ويختلط مع زملائه العاديين. لأنه هو الذي يعرف الحياة. لكن لا تنسوا أبداً أنه عمل، ومرة أخرى، عمل وعمل وعمل." (Bluemel، 2023)

الواقعية الاجتماعية في أعمال كلير لايتون المطبوعة:

أليس لديكِ الشجاعة لتكتبي بنفسكِ كتاب؟ لم تستطع كلير مقاومة هذا التحدي من الناشر ويليام كولينز William Collins[7]. والنتيجة كانت كتب مليئة بقطع خشبية جميلة، وكتابات تعكس شغفها الريفي، لقد كانت فنانة غزيرة الإنتاج، أنتجت مجموعة رائعة من الأعمال – أكثر من (840) عملاً محفوراً على الخشب، واثني عشر كتاباً كتبتها ورسمتها، لتكون بذلك أول امرأة تنتج كتاباً عن الحفر على الخشب، بالإضافة إلى اللوحات والزجاج والخزف. لقد أحبت الخشب كوسيط للحفر وإنتاج كميات كبيرة من الطبعات المتاحة لعامة الناس، لأن الطبقة العاملة كانت قادرة على تحمل الكتب المصورة أو المطبوعات الفردية لتعليقها في منازلهم.

"الحفر على الخشب هو الوسيلة الأنسب للرسوم التقليدية في دور النشر ووسائل الإعلام، لأن قطعة خشب البقس التي تمَّ حفرها للطباعة لا تتلف مثل الصفيحة النحاسية، مما يسمح بالطلب المتزايد من الجمهور "غير الثري" وتطور الذوق بما يتماشى مع التصميم الحديث وديكور المنزل (Aymes, 2022).

2. الجماليّة الطبيعية: كانت لايتون مهتمة بجماليّة الطبيعة وعناصرها الثريّة. فاستعمال الطباعة الخشبية يتيح للفنان التعبير عن هذه العناصر بشكل فريد وجميل، حيث يمكن استعمال نقوش الخشب وتأثيراته الطبيعية في العمل الفني. "كانت أعمالها غالباً عبارة عن تأملات هادئة حول الطبيعة وأولئك الذين عملوا فيها. من دعاة السلام في وقت الاضطرابات... تعزز مطبوعاتها ارتباط الإنسان بالأرض، وتقدم بديلاً قوياً للدمار المحيط بها. لقد شعرَت بأنها مضطرة إلى الحفاظ على رؤيتها للحياة الريفية على الورق أيضاً، في ضوء الصناعة المتسارعة التي دمرت البيئات المحيطة بها." (Kurkoski, 2014)

الجانبان السياسي والجمالي يمثلان خيوطاً مزدوجة داخل عمل لايتون؛ فهي واقعية في تصويرها لمصاعب حياة العامل، ومع ذلك فهي تبتهج بالجمال الصادق لمهمة العامل.

3. تأثير الحفر الديناميكي: تقانة الطباعة الخشبية تتيح إمكانية إنشاء تأثير الحفر والبعد الثلاثي بشكل فعّال. قدمت هذه الخاصية إلى لايتون إمكانية تجسيد تفاصيل دقيقة وتأثيرات ثلاثية الأبعاد في أعمالها." أكثر إثارة للاهتمام هي الأسباب والمبررات التي دفعت الفنان لتطبيق آلية حفر الخشب. نحن أكثر صرامة وعلمية من آبائنا، وقالب الخشب من خلال مجموعته الأوسع من الألوان من الأسود العميق والأشد قتامة إلى الأبيض الصامت، حيث يسمح بمزيد من الدقة في النغمة وتقديم أقوى للشكل، وهو العنصر الفكري. قارن إمكانياته مع النطاق المحدود نسبياً للنحت حيث لا يكون الأبيض أبيضاً أبداً والأسود في أعمق حالاته هو بني داكن." (Kurkoski، 2014)

4. الطبعات المتكررة: تقانة الطباعة الخشبية تسمح بإنشاء طبعات متكررة من التصميم نفسه. كانت لايتون تهتم بإنشاء سلسلة من الطبعات المتكررة للتعبير عن أفكارها، وتجربة مختلف الألوان والمؤثرات على التصميم. إنَّ ما كان سيستغرق ساعات من لايتون لتصميمه وتنفيذه، والعمل باستخدام أدوات فولاذية بسيطة، وحقيبة جلدية مملوءة بالرمال، ومصباح كروي موضوع على طاولة المطبخ، كان سيستغرق إنتاج المطابع

[7] ويليام كولينز William Collins (1789–1853): ناظر ومحرر وناشر اسكتلندي أسّس شركة ويليام كولينز وأولاده للطباعة والنشر، وهي الآن جزء من شركة هاربر كولينز HarperCollins Publishers LLC واحدة من أكبر خمس شركات نشر باللغة الإنجليزية.

مجلة Smashing[8]، وهي المرأة الوحيدة في القائمة تحت عنوان (سبعة عشر فناناً ومصمماً بريطانياً يجب أن تعرفهم) (ردينغ، 2009).

لعبت لايتون دوراً كبيراً ومحورياً في إعادة إحياء تقانة الحفر على الخشب فوصفت بأنها وريثة الفنان توماس بويك (عالم الطبيعة وحفار الخشب الذي أوجد آفاق جديدة في تقانات فن الحفر على الخشب)، (هيكمان، 2008).

بريد لاين، نيويورك (Bread line):

تمثِّل أعمال الحفر والطباعة الخشبية لكلير لايتون الحياة الريفية الإنجليزية في فترة ما بين الحربين ثقافة ريفية متأثرة قليلاً بالحداثة، صوَّرت فيها الأشخاص وهم يمارسون عملهم بحالة من العمل الدائم، وكأنها تشيد بأخلاقيات العمل والعمال وأن هذا المجتمع يقوم بسواعد هؤلاء الكادحين، باستثناء عمل محفور ومطبوع لها، قاتم اللون قوي التأثير يسمى بريد لاين، نيويورك (1932م) الذي تم إنتاجه في ذروة الكساد الاقتصادي الكبير، يصور العمل الفني مشهداً قوياً ومثيراً للذكريات لأفراد يقفون في طابور ينتظرون الخبز خلال فترة الضائقة الاقتصادية الذي شهدته أمريكا، كما صورت فيه الرجال وهم يقومون بتدفئة أنفسهم على وهج نار صغيرة أشعلوها واصطفوا أعداداً كبيرة لامتناهية وتتضاءل حتى تختفي أمام ناطحات السحاب الضخمة، قائمة الانتظار التي تمتد عبر المدينة وناطحات السحاب التي تعلو فوق الرجال العاطلين عن العمل وكأنها لا تعطي أهمية لهم، هذا الجانب المظلم من المدينة، وهو نتيجة للتسارع الحضاري والصناعي والتكنولوجي، هذا العمل تناقض صارخ مقارنةً مع الأشكال الغنائية للتلال المتدحرجة والأشجار الموصوفة بشكلٍ جميل والتي تظهر في أعمالها الأخرى التي تصوِّر الريف بحالته الأكثر نموذجية، وكأنها بتصويرها لهذا المشهد تعود لتعزز حبها للريف بطريقة بإنتاج طبعات كبيرة العدد. ومع ذلك، فإنها تتبع معايير فنية صارمة، على الرغم من أنها شعبويَّة تهدف بشكل صريح إلى تلبية احتياجات الجماهير"، (أشبروك، 1989، 4)، يعكس فنها أخلاقيات عملها وأخلاقياتها الخاصة، وحبها للطبيعة والحياة الريفية التي سجلتها في رسوماتها بتعاطف وبصيرة ثاقبة، لم يمثل الموضوع في رسوماتها الهرب من الحقائق القاسية لمجتمع حضري متزايد بقدر ما مثل إعادة صياغة للموضوعات الأساسية والمهمة للحياة البشرية التي صورتها، حيث لم يكن ليحصل أي شخص في رسوماتها على قسط من الراحة، فالمزارعون يكدحون في الحقول، والصيادون يسحبون صيدهم، والنساء يغسلن الملابس أو يصلحن الشباك.

كتبت في مقدمة كتابها "أهمية الدولة": "إذا كنت أتحدى في دفاعي عن الريف، هو لأنني أعلم أنه الأمل الأخير للعقل. هنا، في قلب الرجل العامل، توجد روح الدعابة القوية على الأرض، التي بدونها لا صحة. لم تكن هناك حاجة إلى هذا في أي وقت، ولم نتعرض في أي وقت لخطر أكبر بفقدانه ". (أشبروك، 1989، 3).

الشكل (5) كلير لايتون، قطف التفاح (Apple Picking)، حفر الخشب مطبوعة على ورق (1933)، الحجم الأصلي (20.3 × 25.3 سم)، معرض بالانت هاوس، تشيتشيستر ,Pallant House Gallery Chichester

المصدر :www.bookroomartpress.co.uk

أكسبتها مهارتها في حفر القطع الخشبية المذهلة مكاناً إلى جانب تيرنر Turner وداميان Damien هيرست وديفيد هوكني David Hockney في قائمة مختصرة من أهم الفنانين البريطانيين العظماء التي أعدَّها متخصصو التصميم، في

[8] مجلة Smashing: هي مجلة إلكترونية تم تأسيسها في عام 2006، مقرها ألمانيا.

مصير الأشخاص في ظل هذا الكساد والسواد الذي يعيشانه، فنراها وضعت الأشخاص في ركن أسود قاتم يروي سواد المشهد.

(بريد لاين) ليس فقط تمثيلاً مرئياً للحظة معينة في التاريخ ولكنه أيضاً بمثابة تعليق اجتماعي من الفنانة لايتون على الفقر وعدم المساواة الذي عايشته أمريكا والعالم المتحضِّر. ومن خلال مهارتها الدقيقة واهتمامها بالتفاصيل، نقلت لايتون بشكل مؤثر وواقعي المصاعب التي يعاني منها الأشخاص العاديون في الأوقات الصعبة.

بشكل عام، يعرض هذا العمل الفني المؤثر والمحفز للتفكير موهبة لايتون الاستثنائية في حفر الخشب، وقدرتها على التقاط جوهر لحظة من الزمن.

كما صوَّرت لايتون العديد من المطبوعات التي تحاكي الحياة اليومية في بيشوب ستورتفورد، وهي بلدة ريفية في هيرتفوردشاير على بعد (35) ميلاً شمال غرب لندن، حيث عاشت مع أسرتها خلال أوائل العشرينيات من عمرها. ومن أهم هذه الأعمال:

مالتهاوس The malthouse(1923م)، Barges صنادل (1924م)، ومزاد العجل The Calf Auction(1924م).

بيت الشعير (The malt house):

يُظهر بيت الشعير طريقة تعاملها مع عناصر الحداثة للتعبير عن الكتلة والفضاء، فضلاً عن تقديم التناقضات اللونية للضوء والظل والملمس مع واقعية التفاصيل. أنشأت تصميمها من خلال الخط ودرجات الظل بدلاً من اللون، فيتم عرض السمات المميزة للمبنى – المد خنة المخروطية، وغطاء التهوية، والريشة الاتجاهية – من وجهة نظر منخفضة حيث تُظهر الوجود التجريدي الجريء في ظل سماء صافية ثنائية الأبعاد تقريباً، والعمل المحفور محاط بحدود سوداء، والسمة الأكثر تميزاً لمطبوعاتها المبكرة إبرازها الأسطح العريضة والمسطحة والهندسية، فضلاً عن أنَّ الأغطية المخروطية ترتفع في معاكسة، وذلك من خلال تمثيلها للمدينة التي أخفت في أزقتها رجالاً بدون عمل ومأوى، بينما مثَّلت الريف بأبهى حالاته وباركت بالعمل الدؤوب والبساطة التي انطوت عليه.

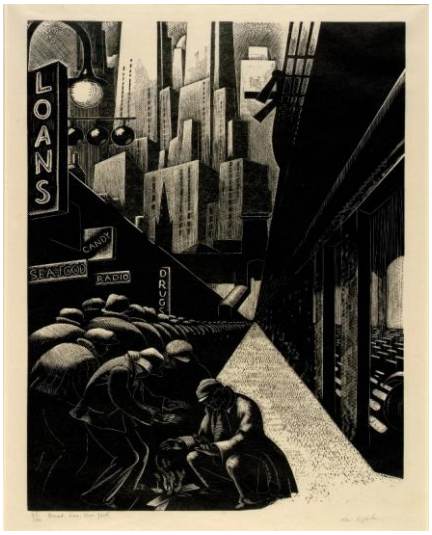

الشكل (6) كلير لايتون، بريدلاين، نيويورك، 1932، حفر على الخشب، متحف سميثسونيان (Smithsonian) للفنون الأمريكية، (20.2 x 30.3سم)

المصدر: www.cartermuseum.org

تكوين (بريد لاين) متوازن بعناية، مع اصطفاف أشكال الأشخاص المرتبة بعناية في خط يمتد عبر منظور اللوحة. يضيف استخدام لايتون للضوء والظل عمقاً وأبعاداً للمشهد المرسوم، وحيث كانت تقانة الحفر على الخشب مناسبة بشكل كبير لالتقاط التفاصيل المعقدة للمشهد وأضافت طريقتها في حفر الخطوط المتشابكة على الخشب بعداً درامياً كما أكدت على الواقع القاسي الذي يواجهه أولئك الموجودون في طابور الخبز، الدقة المتناهية في خطوط العمل المحفور وخطوط المنظور الواضحة التي تشدد عبر طول طابور الانتظار والخطوط القاسية والحادة التي عبرت عن قساوة التعبير الفني لمشهد في المدينة يخلو من العاطفة فلا نرى خطوط منحنية وناطحات السحاب في الخلفية الشاهقة في علوها التي تبدو بعلوها الشاهق وكأنها لا تبالي بما يوجد في الأسفل، أي

إحساساً بالمساحة داخل العمل الفني. أضافت الخطوط وأنماط الحفر المتَّبعة التي تم إنشاؤها بواسطة عملية الحفر عمقاً واهتماماً بصرياً من المشاهد إلى المشهد، مما جعله أكثر واقعية وجاذبية. أضافت الجودة اليدوية للطباعة الخشبية لدى لايتون إحساساً بالأصالة والألفة للعمل الفني، مما يبرز اللمسة الشخصية للفنان وتفانيه في إعداد أعماله.

فرّاشي الحبوب، مايوركا (Winnowers, Majorca):

كانت واحدة من سلسلة من أعمال الحفر والطباعة الخشبية التي نفذتها لايتون في عام (1937م)، ونُشرت في عام (1939م). لتوضيح كتابها بعنوان (أربع تحوطات: تاريخ البستانيFour Hedges: A Gardener's Chronicle).

الشكل (8) كلير لايتون، فرّاشي الحبوب Winnowers, Majorca، 1937، حفر خشبي مطبوع على الورق، (19.37 × 15.56سم)

المصدر: www.nga.gov

بدلاً من التركيز على الصفات الخلابة للمناظر الطبيعية، اختارت لايتون عموماً تصوير الأشخاص الذين عملوا في الأرض. قالت: "أرى ذلك الرجل هناك، منحنياً على الأرض، ويبدو الأمر كما لو أن المنحنيات والأشكال أمامي بليغة حيث لا يمكن أن تكون هناك كلمات أو أفكار". تعبر أوضاع الشخصيات في مطبوعاتها عن قوتها وكرامتها واتصالها بالأرض. فرّاشي الحبوب، مايوركا (Winnowers, Majorca)

تناقض صارخ مع المناطق المسطحة المظلمة في السقف والسماء، (هيكمان، 2011، 45).

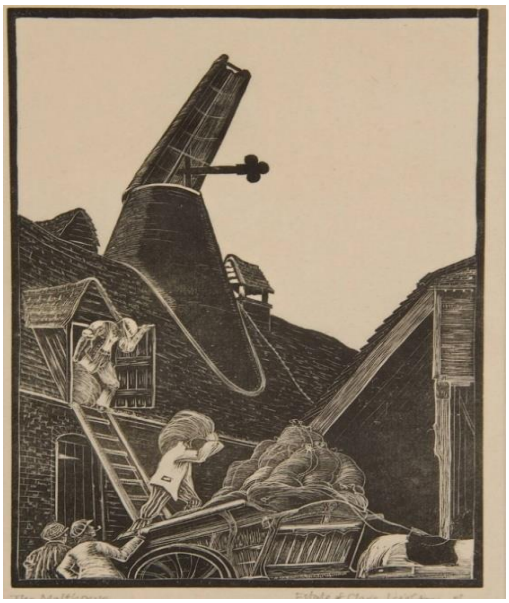

الشكل (7) كلير لايتون، بيت الشعير The Malthouse، 1923 ، حفر خشبي مطبوع على الورق.

المصدر: www.abbottandholder-thelist.co.uk

يصور العمل الفني مشهداً لعمال يعملون في عملية تخمير الشعير، تم ترتيب التكوين بعناية، حيث تم تصوير العمال في مراحل مختلفة من عملية التخمير. يضيف استخدام لايتون للضوء والظل عمقاً وأبعاداً للمشهد، مما يؤكد طبيعة هذا العمل الشاق وما يتطلبه من عدد كبير من العمال لاتمام هذا العمل الذي يتم تنفيذه. كما أن عمل لايتون هذا بمثابة توثيق لهذه الصناعة ولمشاق عمالها تسلّط به الضوء على أهميّة هؤلاء العمال والجهد المشترك المبذول في إتمام عملهم، ومن خلال مهارتها الدقيقة واهتمامها بالتفاصيل، فإنها تبعث الحياة في العمل ونشاط العمال. تخلق عملية الحفر في الخشب مناطق ذات عمق متباين وتأثيرات متباينة على القوالب الخشبية. يُترجم هذا إلى اختلافات في تطبيق الحبر أثناء عملية الطباعة، مما يؤدي إلى ظهور مناطق تباين فاتح وداكن في الطباعة النهائية. مما يعزز التأثير البصري ويخلق

المستغرب أن تتجلى وسائل لايتون الرسمية بشكل كامل في تصوير أحد أقل الاقتصادات الصناعية التي زارتها على الإطلاق. توازن جميل بين الأسود والأبيض والرمادي، (هيكمان، 2011، 251).

حفار البطلينوس (Clam Diggers):1946

الشكل (9) كلير لايتون، حفار البطلينوس Clam Diggers، 1946، حفر خشبي مطبوع على الورق، (19.5 × 180سم)

المصدر: www.nga.gov

يجسد هذا العمل جوهر نشاط حفر البطلينوس، وهو ممارسة شائعة على طول المناطق الساحلية، تم ترتيب تركيبة العمل بعناية لخلق شعور بالتوازن والانسجام. حيث تم وضع الأشكال في المقدمة، مما يلفت انتباه المشاهد إلى أفعالها وتعبيراتها. وفي الخلفية الكثبان الرملية بخطوطها المتموجة وحركة البحر مع النوارس التي تحلق في السماء، الأمر الذي يوفر إحساساً بالمكان والسياق للمشهد. إن تصوير لايتون الماهر للأشكال المتحركة يضيف إحساساً بالطاقة والحيوية للعمل الفني وكان تقانة الخشي خير وسيط لها في هذا العمل فقامت باستخدام أنماط متعددة فاستخدامها لوسيلة التنقيط في الكثبان الرملية أغنت القيمة الفنية لهذا العمل، وتنقل الخطوط والأنماط مطبوعة حُفرت على الخشب بتكليف من جمعية حفر الخشب في كانساس سيتي بولاية ميسوري (The Woodcut Society of Kansas City، Missouri)، هي مثال على هذا الأسلوب. حيث يشكّل العمال، الذين يقطفون الفول بأشواك ثلاثية الأطراف، خطوطاً قطرية قوية تؤكد قوتهم وإيقاع حركاتهم. استخدمت لايتون أدوات حفر متعددة لإنشاء مجموعة متنوعة من النسج المتقاطعة والمنقَّطة التي تجعل مظهر العمل أكثر جاذبية. (كلان، 2021).

أحد الجوانب البارزة في هذا العمل الفني هو قدرة لايتون على التقاط جوهر المهمة الشاقة المتمثلة في التذرية. تنقل أوضاع العمال وانحناءات أجسادهم إحساساً بالتركيز والجهد البدني المبذول، مما يؤكد على العمل البدني المجهد الذي ينطوي عليه هذا النشاط الزراعي. أنماط الحفر المتعددة في إظهار الخامات المتعددة للعمل تثري جوانبه الفنيَّة، ويظهر في هذا العمل الدقة المتناهية للتفاصيل التي أضافتها تقانة طباعة الخشب لإخراج المشهد النهائي للعمل بصورته تلك والتي تسمح بالتقاط جوهر تلك التفاصيل المعقدة، تستخدم لايتون هذا التباين في أنماط الحفر من تنقيط وخطوط متشابكة لخلق العمق والأبعاد المختلفة للعمل الفني، وتعزيز التأثير البصري وخلق إحساس بالمساحة داخل هذا العمل، كما نلاحظ أنها تتعمَّد إبراز التواصل بين خطوط الحفر المشكلة لحركة العمال مع خطوط الطبيعة، لتبرز فكرة الترابط بين الإنسان والطبيعة في ذهن المتلقي. ومن خلال براعتها الحرفية الدقيقة واهتمامها بالتفاصيل الواقعيَّة للمشهد، تبعث الحياة في التقليد الخالد المتمثل في التذرية وتكرّم العمال اللذين يؤدون هذه المهمة الحيوية، وفي النهاية تعزز قيمتها الفنية وتلتقط جوهر المشهد المصور.

بعيداً عن التصنّع والاندفاع لحداثة نيويورك بدون التوتر أو الصراعات المتأصلة، تقدم المطبوعات نموذجاً مثالياً لعلاقة الناس بالعمل والطبيعة، بينما تتجاهل تكاليف الحياة القاسية التي يتطلبها مثل هذا العمل اليدوي. ربما لا يكون من

والبحرية مثل قطف التوت البري وصيد سمك القد. حيث تم تهديد بعض هذه الحرف أو عفا عليها الزمن.

هنا، الآن، كانت فرصتي لاكتشاف نيو إنجلاند. لطالما وجدت أن الطريقة الوحيدة لتعلم حياة الأرض هي العمل عليها سواء باستخدام المحراث أو قلم الرصاص"، (هيلر، 2019).

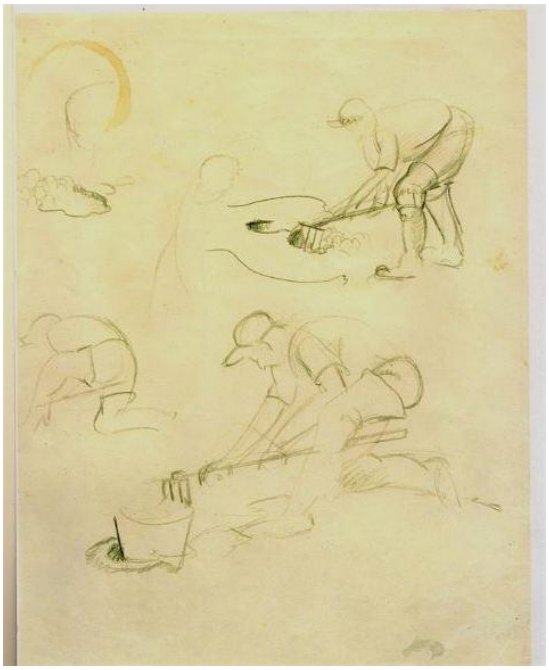

الشكل (10): تبرع Tom Broker بدراسات القلم الرصاص التعبيرية هذه لـ "The Clam Diggers"

في عام 2013

المصدر: www.wellfleethistoricalsociety.org

مخيم الخشب الكندي (Canadian Lumber Camp): حفر على الخشب، بقياس (9 × 11 بوصة)، (1931م).

تم إنشاء المشاهد الستة التي تتألف منها سلسلة " Canadian Lumber Camp" بعد زيارة لايتون التي استمرت أسبوعاً إلى معسكر في جبال لورنتيان Laurentian في كندا أوائل عام (1931م)، مثلت فيها عمل حصاد الخشب، كتبت لايتون عن هذه التجربة إلى صديقتها هيلير بيلوك Hilaire Belloc أنها كانت "إلى حد بعيد أفضل الأشياء التي قمت بها ...."(هيكمان، 2008).

الدائرية والمموَّجة المتَّبعة في تقنية حفر الخشب حركة حفاري البطلينوس أثناء عملهم مع تفاعل البيئة المحيطة بهم، والتقاط الطبيعة الديناميكية للنشاط.

تعزز هذه التفاصيل واقعية العمل الفني وتخلق إحساساً بالمشاركة اللمسية. يحتفي تصوير لايتون بالعلاقة التكافلية بين الإنسان والعالم الطبيعي مع التركيز على أهمية الممارسات المستدامة والتناغم بين البشر ومحيطهم. يحمل العمل الفني أيضاً أهمية ثقافية ويشيد بالتراث الثقافي، حيث يعد حفر البطلينوس نشاطاً تقليدياً له تاريخ غني في المجتمعات الساحلية.

اللوحة مشهد مشبع بالحركة ومثال على الأثر الذي تشرَّب به هؤلاء الرجال الكادحين الذين تعكس أوضاعهم ذاتها صدى التلال والكثبان الرملية التي هم جزء منها، وتبدو انحناءات ظهورهم مماثلة لانحناءات الكثبان الرملية لتوحي لنا باندامجهم بها، وكأنهم جزءٌ حقيقيٌّ منها، كذلك أقدامهم تظهر منغمسة في البرك الصغيرة المظلمة حيث يقومون بتحويل المياه عبر خطوط بيضاء دقيقة إلى حركة مشابهة للمنحنيات التي أحدثتها الطيور، ودوامة الماء والنوارس التي تحلق في المكان بحركة دائرية مدروسة بعناية لتساعد المتفرج على متابعة نمط الدوران.

وهكذا، عندما ألقي نظرة الآن على الطبعة المكتملة، يمكنني سماع صرخة النوارس وأصوات حفار البطلينوس في أحذية الورك المقاومة للماء، ويمكنني أن أشم رائحة البحر الذي يقع خلف التلال المستديرة. ما أتمنى أن أفعله هو أن أنقل هذه الأحاسيس إلى المتفرج بنجاح"، (نورث، 2019، 67).

في منحى مماثل، اشتهرت نيو إنجلاند بأنها مهد الثورة الصناعية في الولايات المتحدة، وفي أواخر الأربعينيات من القرن الماضي كانت مركزاً صناعياً، للمنسوجات والأشغال المعدنية على نحو خاص. اختارت لايتون عدم تصوير هذه الصناعات، وبدلاً من ذلك قامت بتصوير العمالة البرية

الشكل (12) كلير لايتون، مخيم الخشب الكندي Canadian Lumber Camp، 1931م،
حفر خشبي مطبوع على الورق، مرحلة ثانية.

تالياً بدأت لايتون بتفتيح درجات الرمادي بتقاطع خطوط جديدة فتظهر جذوع الأشجار بواسطة خطوط حادة منحنية، والظلال الرمادية على الثلج ملحوظة للغاية، ويبدأ التكوين بالتشكُّل.

المرحلة الثالثة:

الشكل (13) كلير لايتون، مخيم الخشب الكندي Canadian Lumber Camp، 1931،
حفر خشبي مطبوع على الورق، مرحلة ثالثة.

المصدر: jcsm.auburn.edu

شكلت المرحلة الثالثة قفزة كبيرة نحو تشكيل اللوحة وإظهار التكوين بشخوصه ومكوناته العامَّة، توضحت فيها الأشكال

وفي سياق آخر الحطابين الكنديين متينيّ البنية يعملون دون استخدام لأدوات التكنولوجيا الحديثة في مشهد يعكس جمال الطبيعة المكسية بالثلوج.

مراحل إعداد العمل الفني مخيم الخشب الكندي Canadian (Lumber Camp) عند لايتون:

مراحل حفر الخشب تتشكل بالمجمل باستنباط النور من الظل، بمراحل متتالية تتطلب الصبر والدقة العالية التي لا بد منها في حفر الخشب فلا مجال للخطأ فيه، كما العمل التالي كمثال لخطوات إعداد العمل الفني لدى لايتون:

المرحلة الأولى:

الشكل (11) كلير لايتون، مخيم الخشب الكندي Canadian Lumber Camp، 1931،
حفر خشبي مطبوع على الورق، مرحلة أولى

قامت لايتون في هذه اللوحة بحفر الأشكال العامة للتكوين وتوضيح الخلفية حولها، فحددت بها اتجاه الإضاءة والمعالم الأساسية للتكوين العام للَّوحة، قامت بتفتيح درجة الخلفية بشكل كبير، فتحتوي العناصر الكبيرة على مشحات خفيفة افتح لوناً وتظهر الشخوص حتى خلال هذه المرحلة بحواف حادة وإشارة إلى الأماكن الرمادية فقط.

المرحلة الثانية:

(1934م). مثلت إنجلترا في حفر الخشب في المعرض الدولي في البندقية بإيطاليا. منحتها كلية كولبي، ووترفيل بولاية مين، درجة الدكتوراه الفخرية في الفنون الجميلة في عام (1940م). توفيت كلير لايتون عزباء، في نوفمبر (1989م) ودفنت في مقبرة واتربري، كونيتيكت، بعد أن حققت شهرة واسعة في بلدها الثاني الولايات المتحدة حيث قضت سنوات حياتها، كما كانت قد حققتها بالفعل في إنجلترا بلدها الأم.

نتائج البحث:

يمكن تحديد نتائج البحث في هذا السياق بما يلي:

1. كان فن لايتون المؤطَّر بالقيم الثقافية والاجتماعية رسالةً لتوعية المجتمع بهدف تطويره والدفع بعجلته قُدماً، ودافعاً للارتقاء بفكر الإنسان وحثِّه على صون قدسيَة انتمائه للمكان، والبساطة التي سعت لايتون إلى تجسيدها في أعمالها الفنيّة تمثِّل الحقيقة المطلقة لها رغم كل ضغوط الحداثة.
2. كان تفرُّد لايتون يظهر عبر سعيها إلى مخالفة أنماط التمثيل التقليدية واستكشاف أشكال وتقانات جديدة متباينة، حيث جربت طرقاً مختلفة للطباعة وكانت معروفة بإتقانها لتقانة حفر الخشب، فتميَّزت أعمال الحفر والطباعة لديها غالباً بتباينات دراميّة للضوء والظل، الأمر الّذي أضاف أبعاداً لأعمالها المحفورة والمطبوعة وبالتالي عمقاً جلياً، إضافةً إلى تميزها بالخطوط القويّة والجريئة واستخدامها المتقن للمساحة البيضاء، وذلك بغية خلق التباين والتوازن في رسوماتها، وإضفاء إحساس الراحة في مساحاتها الفنّية المحفورة لتنعكس بدورها على المتلقي.
3. اهتمَّت لايتون بالتفاصيل في أعمال الحفر والطباعة الخشبية لديها، فقد حرصت على إظهار التفاصيل الدقيقة في المشهد المصوَّر، وغالباً ما تتضمَّن محفوراتها خطوطاً معقَّدة في النمط المتَّبع في الحفر وذلك كله ضمن تراكيب بسيطة تسمح للموضوعات بالتحدث عن ذاتها، كما أن تقانة الحفر على الخشب المعتمدة في أعمالها الفنيَّة كانت خير وسيط لها والخلفية حولها، فقامت بتفتيح أكبر للخلفية، وأصبحت جذوع الأشجار أكثر صلابة، وأضافت لمسات ناعمة ودقيقة على الشخوص، وبخطوط بيضاء دقيقة جداً عبرت بين درجة الرمادي والأبيض ودمجت حواف اللون الرمادي، لتعطينا بالنهاية هذه النتيجة الواقعية لمشهد أكثر من رائع.

أهم الكتب التي صورتها:

- Four hedges (1935) أربع تحوطات.
- Country Matters (1937) مسائل البلد.
- Southern harvest (1942) حصاد الجنوب.
- (1947) ثوب نسائي عاصف: قصة إدواردیان لا يقهر Tempestuous Petticoat: The Story of an Invincible Edwardian.
- Clare Leighton (1978) كلير لايتون.
- Give Us This Day (1943) أعطنا هذا اليوم.
- Jane Eyre (Illustrated 1897 Edition) 1897 جين اير (الطبعة المصورة طبعة عام 1897).
- Untune the sky; poems of music and the dance (1957) لا تنغَم السماء، قصائد الموسيقى والرقص.
- Where Land Meets Sea: The Enduring Cape Cod (1954) حيث تلتقي الأرض بالبحر: رأس القد الدائم.
- Quiet spirit, skillful hand (1944) روح هادئة ، يد ماهرة.
- The Pinnacled Tower: Selected Poems (1975) برج القمة: قصائد مختارة.

الخاتمة:

تم تضمين أعمال لايتون في مجموعات ضمن متحف فيكتوريا وألبرت، والمتحف البريطاني في لندن؛ متحف متروبوليتان للفنون، نيويورك؛ متحف الفنون الجميلة، بوسطن؛ مكتبة الكونغرس، واشنطن العاصمة؛ وأشياء أخرى عديدة.

في عام (1930م)، فازت كلير لايتون بالجائزة الأولى في معرض الحفر الدولي في معهد شيكاغو للفنون، وفي عام

لإبرازِ جودة سردها ومحاكاتها للمشهد الريفي المبتغى بأسلوب غرافيكي، لتلتقط لحظة من الزمن وتصورها بطريقة لامتناهية احتفلت فيها بجمال العالم الطبيعي وتعقيده الغامض.

4. يحتفي فن لايتون بصورة خاصَّة بكرامة العمال وإنسانيتهم، حيث الفن بالنسبة لها لغة وجدانيّة، فنأت بذاتيّتها وانطباعاتها الشخصية عن المشهد المصوّر وساعدتها واقعيتها تلك لإبراز هدفها الأساسي من الفن، فكانت قضيتها السامية الإنسان باعتباره المادّة الخام الأساسيّة، لذلك اشتهرت بتصويرها المتعاطف مع العمال والفلاحين والعاطلين عن العمل، وعمال المناجم و المصانع والطبقة الكادحة بمجملها والتي تشكّل الركيزة الأساسية لمجتمعاتنا، وتثير فينا المشاعر العميقة للحياة التي يشترك فيها الجميع فدرَست العلاقات الاجتماعيّة، وكانت أعمالها صدى لهذا الواقع الاجتماعي وليست مجرَّد إدراكٍ حسي إنما محاكاة للعالم الواقعي دون أية زخرفة وتنميق عبر النفاد إلى ماهيته ومعرفة قوانينه، وإضفاء الطابع الإنساني عليه للكشف عن جماله.

5. عكس فن لايتون حبها العميق للريف الإنجليزي وشعبه، فهي اشتراكية ملتزمة وتعتقد أن الفن يجب أن يكون في متناول جميع الناس، وليس فقط الأثرياء، لذلك إنَّ إرثها بوصفها فنانة وكاتبة ومدافعة عن العدالة الاجتماعية جزءٌ مهمٌ من تاريخ الفن والثقافة في القرن العشرين. فكانت مطبوعاتها انعكاساً لمعتقداتها الاشتراكية لذلك سعت إلى تسليط الضوء على نضالات الطبقة العاملة ومصاعبها وقضاياها الاجتماعية، إضافةً إلى جمال الحياة الريفية وبساطتها.

التمويل: هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل(501100020595).

References:

1. الشـيمي، محمـد نبيـل، (2009). هـل مـن الضـروري أن يكـون الفـن أخلاقيـاً؟، الحـوار المتمـدن، العـدد: 2546. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=161633 .2023/آذار/16

2. عباس. راوية عبد المنعم، (2005م). الحس الجمالي وتاريخ الفن، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.

3. مطر. أميرة حلمي، (2013م). مدخل إلى علم الجمال فلسفة الفن، دار التنوين للطباعة والنشر، القاهرة.

4. نبيل. راغب، (1984م). المذاهب الأدبية: من الكلاسيكية إلى العبثية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

1. Ashbrook, S, (1989). National women's caucus for art confer-ence. San Francisco, United States of America.

2. Aymes, S .(2022 ،february 11). Autographic Wood Engraving: Modernist D.I.Y .Retrieved from openeditionbooks: https://books.open edition .org/pulm /11888 . (15/August/2023 .

3. Bluemel, K. (2023, february 10). Artist Spotlight: Clare Leighton and the Fine Art of Mass Reproduction. Retrieved from Rediscovering Art by Women: https://r-a-w.net/blog/clare-leighton-and-the-fine-art-of-mass-reproduction/. (21/August/2023).

4. Blumberg, N. (2019, Jun 5). Social Realism. Retrieved from Waybackmachine: https://web.archive.org/web/20190605202357/https://www.britannica.com/art/Social-Realism-painting#accordion-article-history. (17/August/2023) .

5. Grunes. M, F, (2011). Clare Leighton collection. Yale Center for British Art, New Haven, United States of America. Retrieved from https://archives.yale.edu /repositories/2/resources/33 . (5/March/2023).

6. Hickman. C. (2008). Clare Leighton's Art and Craft: Exploring Her Rich Legacy through the Pratt Collection, Resource Library, the Mint Museum of Art, United States of America. Retrieved from https://www.tfaoi.org/aa/8aa/8aa160a.htm . (24/October/2022).

7. Hickman. C, (2011). CLARE LEIGHTON'S Wood Evgravings of English Country Life Between the Wars. phd. Philosophy in the Department of Art. University of North Carolina. Chapel Hill: United States of America. P 451.

8. Heller. J. (2019). "The Clam Diggers", Wood Engraving By Clare Leighton. Wellfleet historical society museum, United States of America. Retrieved from

9. http://www.wellfleethistoricalsociety .org/news/2019/6/3/the-clam-diggers-wood-engraving-by-clare-leighton. (26/October/2022).

10. Klann. R. (2021). From the archives: Claire Leighton and A Connection to the Land, Smith College Museum of Art, Northampton, United Kingdom. Retrieved from https://scma.smith.edu/blog/archives-claire-leighton-and-connection-land. (7/February/2023).

11. Kurkoski, M. (2014, July 23). Clare Leighton: The blackest black to dead white. Retrieved from scma: https://scma.smith.edu /blog/clare-leighton-blackest-black-dead-white. (21/August/2023).

12. Leighton, C, (2009). Clare Leighton, Growth and Shaping of an Artist-Writer. The Estate of Clare Leighton, United Kingdom, p71.

13. Leighton. D, (2008). Clare Leighton: Her Family Foundations, Resource Library, the Mint Museum of Art, United States of America. Retrieved from https://www.tfaoi.org/aa/8aa/8aa160.htm , (7/March/2023).

14. Martin, S. (2020, November 9). The Industrious Artist: Clare Leighton | Perspectives. Retrieved from Pallant House Gallery: https://pallant.org.uk/the-industrious-artist-clare-leighton/. (29/August/2023) .

15. North. C, D, (2019). With the Grain: Presentation Prints of the Woodcut Society 1932-1954. The Estate of Clare Leighton,The Woodcut Society Kansas city California, United State of America, p67.

16. Redding. D, (2009). The Beauty of London in Design. Smashing Magazine, Freiburg, Germany. Retrieved from https://www.smashingmagazine.com/2009/11/the-beauty-of-london-in-design/. (14/March/2023).

17. Woodberry, G. E. (2020, April 4). A History of wood-engraving. Retrieved from wikisource: https://en.wikisource.org/wiki/A _History_of_Wood-Engraving/Chapter_1 . (23/August/2023).